الفصل الخامس

المبحث الأول

تحوّل الجماعات اليهودية إلى جماعات وظيفيّة

إنّ دولة داوود وسليمان وما بعدهما ـ وخاصةً بعد تقسيمها ـ لم تعد قادرة على حماية نفسها أو إقامة مجتمع حضاري متقدم ، فعندما أسر اليهود وذهبوا إلى بابل وآشور جندتهم الدولة مرتزقة وجواسيس ، وكانت الفكرة عزلهم وإضعاف علاقتهم بالأرض ، فكان تدوين التلمود في هذه الفترة يضم تفاصيل الصلوات في الهيكل و (رداد) الكاهن الأعظم ، وشعائر سنة اليوبيل والسنة السبتية ، وأدق التفاصيل عما سيحدث بعد عودة الماشيح «المسيح الدجال» ، والشعائر الخاصة بحياة اليهودي خارج مجتمع الغير «تكريس العزلة» .

وعند العودة من بابل تركوا الزراعة؛ لأن الأرض قد أقفرت ولأن الشريعة حرمت عليهم استئجار أرقاء يهود للعمل ، وتحرم العمل يوم السبت .

كثير من المجتمعات في السابق نظرت إلى العبرانيين على أنهم مادة استيطانية قتالة ، وكلمة عبراني تشير إلى العبد الذي حول نفسه برضاه إلى أداة في يد الآخر .

كما قام الملك العبراني التاسع بجمع جيش من المرتزقة من المملكة الشمالية ، و حاول إخضاع أدوم للهيمنة العبرانية ولم تجند المرتزقة في جيش مصر الفرعونية .

لقد كان هدف السبي والتهجير البابلي والآشوري تأديب العبرانيين ، وأقام الفرس جماعات استيطانية موالية يهودية على هيئة مستعمرات في أرجاء الإمبراطورية بجنود وجواسيس ، وعندما أعطاهم الإسكندر الحرية التي أخذوها من الفرس انضموا إليه فخدموا في فرق الفرسان والمشاة سواء ،

خصوصاً في حكم بطليموس السادس (١٨٠ ـ ١٤٥ ق.م) الذي سلم مملكته تقريباً إلى المرتزقة اليهود ، وإن كليوبترا اعتلت العرش بفضل مساندة أفراد الجيش من اليهود ، وانخرط اليهود في سلك الشرطة و حراسة الممتلكات و تحصيل المكوس الجمركية على ضفتي النيل ، ولما وصل الرومان إلى المنطقة وتم تسريح الجيش البطلمي انهار الوضع الاقتصادي المتميز لليهود ، وقد قام شارلمان بتوطين اليهود جنوب فرنسا؛ ليكون حاجزاً على حدود العالم المسيحي لوقف المد الإسلامي ، وفي الفتح الإسلامي كان المسلمون يوطنون اليهود في المناطق والمدن المفتوحة كقرطبة وغرناطة وطليطلة؛ حتى يتفرغ المسلمون للعمليات القتالية ، فكان الاستيطان هو البعد الأساسي للجماعات اليهودية .

التجارة: ارتبط اليهود بالتجارة في أكثر المجتمعات التي كانوا فيها بسبب نزوعهم الأزليّ لاستغلال الآخرين والتعامل الربوي «ولذا عملوا على تطوير التجارة مع صور وغيرها من المدن» ، علماً بأن التلمود يضم كتاباً كاملاً يسمى «زراعيم» يتناول أمور الزراعة التي لا يعملون بها و خاصة في دولة داوود؛ إذ كانت فلسطين منطقة متوسطة تجارية ، وبعد السبي والعودة إلى فلسطين ظهرت تجارتهم في دولة فارس والإسكندرية وروما ، بينما ظل القليل منهم في بابل يعمل بالزراعة ، وبعد الفتح الإسلامي كان لهم في البلاد الإسلامية والمسيحية دور في أول نظام ائتماني يسهل عملية انتقال التاجر بين البلاد وتسيير التبادل التجاري «جسر تجاري ومالي» ، وصاروا في الفترة «٨٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م» تجاراً دوليين ومحليين ، وتطورت حركتهم داخل المجتمع الأوربي بالتجارة الدولية ، حتى صار استمرارهم مستحيلاً وبدأ دورهم ينهار بسبب:

١ ـ سيطرة المدن الإيطالية على التجارة .

٢ ـ كما أن الحروب الصليبية قضت على كثير من مراكز التجمع اليهودي في أوربا .

٣ ـ كما تم ظهور هياكل مركزية في أوربا كما في بريطانيا وفرنسا ، وطبقة تجارية قوية تعيش على تخلف المجتمع .

فتحوّل اليهود إلى مبادلة النقد ثم إقراضه بالفائدة العالية ، كما اضطلع يهود إيرلندا بأنشطة مالية كتحصيل الضرائب واحتكار أنواع من التجارة «كتجارة الملح» ، حيث اكتملت حلقة التجارة الدولية ، ومن صفوف اليهود الإشكناز ظهر يهود البلاط الذين كان لهم دور أساسي في تجارة الإمارات الألمانية ، وهذا العمل التجاري كان سبباً في استمرار احتفاظهم باستقلالهم العرقي والقومي ، وهكذا صار اليهود يتحدثون عن شراء فلسطين وحائط المبكى «هرتزل» ودفع تعويض للاجئين الفلسطينيين ، وتقديم الحركة الصهيونية الرشوة لليهود السوفييت؛ ليهاجروا إلى الأرض المقدسة ، فقامت فئة من يهود جنوب فرنسا «الراذانية» بالتجارة من فرنسا إلى الهند والسند والصين ليعودوا بالمسك والعود والكافور ، ويجلبون من الغرب الخدم والجواري والغلمان ، والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف .

وبالنسبة للربا فقد ظهروا في العالم الإسلامي ومع الفرنج حيث يقرضون الإقطاعي أو الأمير؛ لتجريد حملة حربية أو لإعمار أرض جديدة أو لبناء كنيسة أو كثدرائية ، معتمدين على الأمير أو الملك وذلك لحمايتهم من غضب الجماهير وفتكها .

ومع ذلك كان الملك إذا عجز عن تسديد دينه يمنح اليهودي المرابي حق جمع الضرائب من الفلاحين أو يلقي به إلى الجماهير الغاضبة ، وكانت نسبة الفائدة تتراوح بين ٤٠ ـ ٨٠٪ ، وأحياناً تصل إلى ١٧٠٪ و٣٠٠٪ .

وكثيراً ما كانت الثورات الشعبية تستهدفه عكس الملك أو الأمير المحتمي بحراسه وقصره ، وكانت المدن تطردهم ثم يعودون إليها من جديد .

كما اضطلع اليهود بمهمة تزويد الملوك بالسلاح اللازم للحرب ضد المسلمين ، كما في قشتاله حيث قام الأخوان روفائيل بتمويل ملك أرجوان «١٢٧٦ ـ ١٢٨٥ م» في حروبه ضد قشتاله .

وعملوا بتجارة السلاح للأمراء أو الأديرة لحمايتها ، واغتنموا حروب الاستقلال الأهلية في المغرب وزودوا الطوائف المتحاربة ، وكذلك في إنكلترا والجيوش التي ترسل للمستعمرات .

ثم تجارة مناجم الماس وتصدير المرجان وتمويل الخيل والسلاح .

* * *

المبحث الثاني
طردهم من فلسطين وتشريدهم في البلاد

اليهود في جزيرة العرب

بعد طرد اليهود من قبل الرومان «التشريد الثاني» خارج فلسطين سكن قسم منهم في وادي القرى «قريباً من يثرب وخيبر» في جزيرة العرب ، فعملوا بالتجارة والربا وإثارة القلاقل بين القبائل ، فقد كانت يثرب تضم قبائل الأوس والخزرج ، فانقسم اليهود إلى قسمين كل قسم حالف فئة ، فقسم حالف الأوس والآخر حالف الخزرج ، وصاروا يعملون لتقوية التناقضات وإنشاء الخلافات والأخذ بالثأر ، وذلك ليُغذُّوا القتال ويبيعوا لهم السلاح ويقرضوهم المال بالربا ، فالأوس حالفت بني النضير من اليهود وبني قريظة حالفت بني عامر ، والخزرج حالفت بني قينقاع .

وكانت قبائل العرب تحترم اليهود؛ لأنهم أهل دين فتعمل بنصائحهم ، وتشاورهم وتنزل على مشورتهم ، وكانوا هم يبيعون دينهم بالدنيا والمال ، وهكذا أوقعوا بين العرب في حرب دامت سنين كلما خبت أوارها وهدأت أججوها من جديد ، إلى أن جاء الإسلام وقضى على الفتنة ومسعري الحرب .

لقد كانت أموال العرب التي يكسبونها بتجارتهم «رحلة الشتاء والصيف» وبخدمات الحجّ ، كانت كلّها تعود لليهود يضيفونها إلى ثرواتهم ويزدادون مكانة بها ، وكانوا يستفتحون على العرب بأنه سيأتي نبي لهم يرفع مكانتهم ويهددونهم به ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩] .

عندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة اجتمع مع

اليهود بعد أن أيده الأنصار أهل المدينة من الأوس والخزرج ، وأبرم معهم «اليهود» معاهدة أن يناصرهم ويناصروه ولا يكون منهم خيانة ولا غدر[1].

ولما استقرت دعوة الإسلام في المدينة المنورة بعد الهجرة آمن قسم من اليهود برسول الله ﷺ ، كعبد الله بن سلام رضي الله عنه والنعمان السبائي رضي الله عنه من أحبار اليهود بعد تأكدهم من أوصافه في كتابهم الذي يبشر بالرسول ويبين صفاته كما جاءت في كتبهم[2] ، وأعلن قسم آخر إسلامه رياء ودخل في الإسلام ليفسده من الداخل كعبد الله بن سبأ «اليمن» الذي كان له دور عظيم في انشقاق الإسلام وظهور الفرق الضالة ، وذلك بما بثه من سموم وبما أفسد من ضمائر ، امتد أثرها إلى الآن.

وقسم آخر رفض نهائياً الاعتراف بما جاء في كتبهم من تحقيق صفات الرسول ﷺ كحيي بن أحطب وغيره ، وقد قاموا بدور تأليب القبائل العربية وقريش خاصة على محاربة رسول الله ﷺ ومعاداة الدعوة وتكذيبها.

فبعد معركة بدر بين الإسلام وكفار العرب «قريش» وانتصار المسلمين ، وتقوية الدعوة في المدينة وفشل أعدائها في مكة اغتاظ اليهود ، وقام حيي بن أخطب بدور اليهود المعهود بالتاريخ إذ دخل مكة يرثي قتلى المشركين في بدر ويشبب بنساء المسلمين ويعقد الأحلاف لمحاربة الإسلام ، وعندما سئل من قبل كفار العرب عن دين الإسلام أجاب أن دين الكفار «عبادة الأصنام» أفضل من دين الإسلام ، وكان الذين يسألونه يثقون به لأنه من أهل دين سماوي ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ٥١ـ٥٢] ، فكان هذا سبب بدء الفتنة وخيانة عهد اليهود مع رسول الله ﷺ.

ـ أما يهود بني قينقاع: الذين غدروا بالمسلمين وخانوا رسول الله ﷺ وألغوا الحلف معه ، فقد جمعهم رسول الله ﷺ وحذّرهم أن ينزل الله بهم ما أنزل

---

(١) صورة المعاهدة.

(٢) صفات الرسول في التوراة.

بقريش ، فلما تمادوا في غيهم وأثاروا حفيظة المسلمين «بكشف سوءة امرأة مسلمة وقتل من حامى لها ودافع عنها» ، حاصرهم رسول الله ﷺ في حصونهم وأجلاهم ومعهم النساء والذريّة ، وتركوا الأموال والحلقة «عدة الحرب» ، وكانوا حلفاء «عبد الله بن أبي بن السلول» وبعد حصار شديد لحصونهم [إذ كان يحمل راية المسلمين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه] قذف الله في قلوبهم الرعب «وكانوا أشجع أهل المدينة من اليهود» فخرجوا من المدينة بعد أن كلم فيهم عبد الله بن أبي بن السلول وألح عليه فيهم ، فوهبهم له فخرجوا إلى أذرعات من أرض الشام ، فما لبثوا فيها قليلاً حتى هلكوا.

ـ يهود بني النضير: نقضوا عهد رسول الله ﷺ بعد معركة بدر بستة أشهر بعد أن خرج إليهم في نفر من أصحابه ، وكلمهم في أن يعينوه في دية رجلين قتلهما حليفهما عمرو بن أمية الضمري ، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم ، اجلس نقضِ حاجتك ، وخلا بعضهم ببعض وسول لهم الشيطان الغدر برسول الله ﷺ وخيانته فتآمروا على قتله برحى تلقى على رأسه ﷺ فتشجه ، فقال أشقاهم عمرو بن جلحاش: أنا ، فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا فوالله ليخبرنّ الوحي بما هممتم به وإنّه لنقض للعهد ، وجاء الوحي على الفور بما همّوا به ، فنهض رسول الله ﷺ مسرعاً و توجّه نحو المدينة ولحق به أصحابه الذين سألوه: نهضت ولم نشعر بك؟ فأخبرهم بما همّت به اليهود ، وبعث إليهم رسول الله ﷺ أن اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني وقد أُجِّلتم عشراً فمن وجدت بها بعد ذلك ضربت عنقه ، فأقاموا أياماً يتجهزون ، وأرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي بن السلول أن لا تخرجوا من دياركم ، وإنّ معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم و تنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان ، وطمع رئيسهم حيي بن أحطب بما سمع ، واطمأنّ له ، وأرسل إلى رسول الله ﷺ يقول: لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك ، فكبّر رسول الله ﷺ وأصحابه وتقدّم إليهم ، ويحمل الراية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلما انتهى إليهم قاموا إلى حصونهم يرمونه بالنبل والحجارة ، واعتزلهم يهود بني قريظة وخانهم حليفهم عبد الله بن أبي بن السلول وحلفاؤهم من غطفان ، فكان

مثلهم ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦]، فطلبوا الجلاء، وأنْ يكفّ عن دمائهم، ولهم ما حملت الإبل إلاّ الحلقة «عدة الحرب»، وخرجوا إلى الشام، ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾

[الحشر: ١١ ـ ١٢].

ـ أما يهود بني قريظة: فكانوا أشدّ اليهود عداوة لرسول الله ﷺ وأشدهم كفراً، وكان سبب ذلك أن حيي بن أحطب جاءهم في ديارهم أثناء غزوة الخندق وهم صلح مع المسلمين فقال لهم: جئتكم بقريش على سادتها وغطفان على قادتها وأنتم أهل الشوكة والسلاح، فهلمّ حتى نناجز محمداً ونفرغ منه، فقال لهم رئيسهم كعب بن أسد القرظي: والله لقد جئتنا بذل الدهر، جئتني بسحاب قد أراق ماءه فهو يرعد ويبرق، فلم يزل حيي يخادعه ويعده ويمنّيه حتى أجابه بشرط أن يدخل معه في حصنه يصيبه ما أصابهم، ففعل، ونقضوا عهد رسول الله ﷺ وأظهروا عداوته وسبّه، فبلغ ذلك الخبر رسول الله ﷺ فأرسل يستعلم، فوجدهم قد نقضوا العهد، فكبّر رسول الله ﷺ وقال: [أبشروا يا معشر المسلمين]، فلما انصرف من غزوة الأحزاب جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فقال: [أوضعت السلاح؟ والله إنّ الملائكة لم تضع أسلحتها، فانهض بمن معك إلى بني قريظة فإني سائر أمامك أزلزل حصونهم وأقذف في قلوبهم الرعب]، فسار جبريل عليه السلام في موكبه من الملائكة ورسول الله ﷺ في موكبه من المهاجرين والأنصار، وقال لأصحابه يومئذٍ: «لا يصلّين أحدكم العصر إلاّ في بني قريظة»، وكانت الراية لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ونازل حصونهم خمساً وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، وطلب الأوس أن يحكم فيهم حليفهم سعد بن معاذ، فحكم بقتل الرجال وسبي الذريّة، وأنْ تقسَّم الأموال، وأسلم منهم نفر قبل النزول، وانطلق عمرو بن سعد فارّاً، وكان قد أبى أن ينقض العهد مع

رسول الله ﷺ ، وكان رئيسهم كعب بن أسعد ، ولمّا جيء بحيي بن أخطب إلى رسول الله ﷺ ووقع بصره على النبيّ ﷺ قال: «أما والله ما لمت نفسي على عداوتك ولكن من يخذل الله يخذله ، ثم قال: أيها الناس ، لا بأس قدر الله وملحمة كتبت على يهود» ، ثمَّ حبس وضربت عنقه.

ـ يهود خيبر: هؤلاء غدروا بالمسلمين حلفائهم ، وقتلوا من المسلمين محمد بن مسلمة ، وتألّبوا عليهم مع الأحزاب في غزوة الخندق ، فصالحهم رسول الله ﷺ على أن تحقن دماء المقاتلة والذريّة ويخرج اليهود من خيبر بذراريهم ، وذمّة الله ورسوله ﷺ بريئة منهم إذا كتموه شيئاً ، وبإقرارهم على الأرض المزروعة على شطر ما يخرج منها من ثمار وزرع ، ومن ثمّ حكم بقتل ابن أبي الحقيق لما نقضوا الصلح بينهم وبينه على أن لا يكتموه شيئاً ولا يُغيِّبوا شيئاً من أموالهم ، فكتموا وغيّبوا كما هي عادتهم الخيانة والغدر ، ولقد بقي حال اليهود في خيبر حتى أجلاهم الخطّاب عمر رضي الله عنه لِمَا فعلوه من غدر بمظهر بن رافع عندما ألَّبوا عليه عماله وأعطوهم السلاح ليقتلوه.

وكذلك عدوانهم على عبد الله بن سهل رضي الله عنه إذ وجد مقتولاً في خيبر.

كما عَدَوْا على عبد الله بن عمر رضي الله عنه من الليل ففرغت يداه ورجلاه ، فاستشار الخليفة عمر بن الخطاب الصحابة المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم في إجلائهم فأقرّوا جميعاً الجلاء ، وعنها جاء أحد بني الحقيق إلى الخليفة عمر فقال: يا عمر ، أتخرجنا وقد أقرَّنا رسولكم؟ فقال: كذبت يا عدو الله إنه عليه السلام قال: «لا يبقى في جزيرة العرب دينان» ، وآخر ما تكلم به رسول الله ﷺ: «إن عشت أخرجت اليهود والنصارى من الحجاز... أخرجوا اليهود من الحجاز».

فلما جلوا ذهب قسم منهم إلى «تيماء» من جزيرة العرب ولكنها ليست من الحجاز ، وقسم إلى أريحا.

ولم يخرج يهود وادي القرى؛ لأنهم من أرض الشام وليس من أرض

الحجاز ، وقد عملت إحدى نسائهم طعاماً ودسّت فيه سمّاً وقدّمته إلى رسول الله ﷺ ، كان ضمن ذراع الشاة ، فحمى الله رسوله ﷺ إذ أظهره عليه ، ولكن قتل واحد من المسلمين به .

ـ يهود تيماء ووادي القرى : لما بلغهم ما فعل رسول الله ﷺ بأهل خيبر وفدك وتبوك بسبب غدرهم ، صالحوه على الجزية وأقرهم على الإقامة ببلادهم .

ـ ومنهم من دخل بالإسلام ليعمل من خلاله على تقويضه ، وعلى إفساد المسلمين وعقائدهم ، وذلك بالخديعة ودسّ السموم ، مثل :

* عبد الله بن سبأ : إنّه يهوديّ من صنعاء ، أسود اللون ، ادّعى الإسلام ، وعمل في السرّ لتشكيل عقيدة تخالف عقيدة الدين الحنيف بالتعاون مع الشعوبيين المجوس وغيرهم ، إذ ابتدأ أمره بقوله لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أنت أنت ؛ ويقصد بها أنت الإله ، وقوله له : إنك العليّ القدير ، فنفاه عليّ رضي الله عنه إلى المدائن ، ثم كان منه أن أظهر أمر الرجعة للنبي ﷺ بعد وفاته فكان يقول : عجبت لمن يقول برجعة عيسى عليه السلام إلى الدنيا ويرفض رجعة محمد ﷺ ، ثم أظهر أمر الوصية بقوله : إن النبي وصّى لعليّ رضي الله عنه من بعده ، وهو أوّل من قال : إنّ عليّاً وحي الله ، ثم صار يقول إنّ عليّاً الجزء الإلهي ، وإنه يجيء في السحاب ، والرعد صوته ، وينزل إلى الأرض ليملأها عدلاً كما ملئت جوراً .

* فنحاص بن عازار : من يهود قينقاع ، انفرد بالسيادة على اليهود ، وهو الذي قال عندما سمع قوله تعالى : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [الحديد : ١١] . قال : يا أبا بكر ، إن الله يستقرضنا وما يستقرض إلا الفقير .

* شاس بن قيس : كان شديد الطعن بالمسلمين وشديد الحسد ، وهو الذي أثار الفتنة بين المهاجرين والأنصار «الأوس والخزرج» في الإسلام ؛ إذ مرّ على قوم منهم فذكرهم بقتالهم في الجاهلية وأثار حميتهم فبعثها فتنة كاد القتال يقع

بين المسلمين لولا أن أطفأه رسول الله ﷺ بقوله: «أحمية الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم».

وفي ظلّ الحكم الإسلاميّ: كان لليهود حرية الحركة، وكان لهم نفوذ بسيط يقوى كلما تدنى مستوى الالتزام، ففي الحكم الفاطمي مثلاً يذكر:

ـ يعقوب بن كلس: الذي كان وزيراً للخليفة المعز لدين الله وأحد أركان الحكم، وهو يهودي من العراق «٣١٨ هـ ـ ٩٣٠ م» بدأ مع كافور الإخشيدي كسمسار الفسطاط ثم تاجر البلاط ثم مستشار لأحوال الفلاحين، مظهراً أمانة في التعامل وقناعة وكرماً إلى أن أسندت له مهمة الإشراف على الإدارة المالية للدولة، ولكي يصبح وزيراً للدولة كان لابد له من إجراء شكلي وهو إعلان إسلامه، وهكذا يصبح مسلماً دون أن ينقص من عدد اليهود، وكان له مع ذلك اتصالات مع المعزّ لدين الله في تونس الذي كان يعطيه معلومات عن مصر ليهاجمها، وكان في تونس جالية يهودية فعالة في المجالات التجارية «سمسرة وتجارة مع البلاط الفاطمي»، وبقي ابن كلس له دور في الدولة الفاطمية، كما أولى الشؤون المالية والإدارية لليهود.

ـ ويهودي آخر هو ابن أبي العور وابن منشابن: اللذين كان لهما شأن في الدولة الفاطمية، وكذلك أسرة آل التستري، وأسر يهودية كثيرة.

* * *

المبحث الثالث

دولة الخزر اليهودية

الخزر: أصولهم تركية مغولية ، موطنهم مصب نهر الفولكا على بحر قزوين «تحت سلطانهم البلغار ـ الهنكار» ، أعلن الأمير الخزري «بولون» فرض سيطرته على القبائل الخزرية وأعلن نفسه ملكاً عليها وباشر بالتوسع وفرض الشريعة الموسوية ، وتمكن بالحفاظ على الأمن لبلاده بين دولة الإسلام والدولة البيزنطية النصرانية كون التوراة ديناً سماوياً.

دامت دولتهم قرناً ونصف القرن بعد دخول اليهودية الخزر ، إذ تمّ القضاء عليها في القرن الحادي عشر للميلاد زمن المنتصر بالله العباسي ، وكانت عاصمتها «أتيل» عندما قضى عليها الروس وشرّدوا أهلها إذ كان عددهم عام ٨٩٧ م حوالي خمسة ملايين.

لقد حصلوا على ميزات من المغول وانتقموا من الروس بمساعدتهم لجنكيز خان ، ثم فرقت دولتهم وتوزع أهلها بين هنغاريا وبولندا «يهود الأشكيناز» ، وللتخلص منهم سعت روسيا السوفيتية للاعتراف بإسرائيل؛ ليتم تهجيرهم إلى فلسطين.

ـ اليهود في اليمن: إن إسلام ملكة سبأ في عهد النبي سليمان عليه السلام جعل اليمن تبعاً لدولة سليمان وذلك عام ٩٦٠ ق.م ، ومن ثم فقد غزا أحد ملوك حمير «تبان أسعد أبو كرب» غزا يثرب في القرن الخامس قبل الميلاد وقد جاء إليه حبران من اليهود فأعجب بدينهما فاتّبعه وأخذهما إلى اليمن ودعا قومه إلى اتباع هذا الدين ، وثبت هذا دين اليمن في عهد الملك الحميري (ذو نواس)

أوائل القرن السادس قبل الميلاد ، ومن ثم أجبر المسيحيون على اعتناق اليهودية في اليمن.

وفي حملة الرومان الأخيرة وتدمير القدس هاجرت جموع غفيرة من اليهود إلى بلاد العرب وقسم إلى اليمن.

المبحث الرابع

في الأندلس وأوربة

ـ بعد فتح الأندلس: استفاد اليهود من الحرية الدينية التي يتميز بها الإسلام ، فعملوا في الظلام وأخذوا يؤسسون الجاليات والجمعيات وينشؤون المعابد ، فاستولوا على المرافق العامة وتاجروا بالرقيق انتقاماً من النصارى ، وعندما شعر المسلمون الذين احتضنوهم وقلدوهم المناصب بخيانتهم واتصالهم بثورة المواز عام ١٠٠٠م أسفر اليهود عن وجوههم ، وانحازوا للأسبان ضد المسلمين وانقضّوا عليهم فنالوا من الأسبان ثمناً وقرباً وميزات في السلطة ، ثم تظاهروا بالتنصر فصار منهم البطاركة ودخلوا في صفوف الرهبان إلى أن افتضح أمرهم ، فقامت الملكة «إلزابيل» بتشكيل محاكم تفتيش وأمرت بتنصير جميع اليهود الراغبين بالعيش في أسبانيا وإجلاء الآخرين.

كذلك الأمر بالنسبة إلى البرتغال عام ١٥٣١ م ، إلاّ أنّ الحكومات كانت حريصة على أموالهم ، فهم بارعون بافتداء أنفسهم بالمال.

ثم دعموا الثوار لمقاتلة الملكة والكنيسة ، ولكن الثورة فشلت رغم دعم بريطانيا المتهودة وفرنسا المتهودة ، ومع هذا فاليهود استفادوا من الثورة في جمع المال.

وبعد طرد اليهود من أسبانيا اتجهوا إلى جنوة التي حددت الأعداد المسموح بها ، كذلك كانت صقلية وسردينيا مشمولتين بقوانين الطرد ، أما البندقية فقد حمى أميرها اليهود؛ ليستفيد من أموالهم فصار لهم فيها مرتع خصب.

وفي روما: دخل اليهود في حماية البابا «بول الثاني» الذي أطلق عدداً من السجناء منهم ، وخفف من حكم محاكم التفتيش بسبب ما قد وصله من هدايا

منهم ، ولما جاء «بول الرابع» اكتشف غدرهم وخيانتهم فهدم معابدهم وأمرهم ببيع عقاراتهم وأحاط الحي اليهودي بسور له باب يغلق ليلاً ، وأخضعهم لمحاكم التفتيش ، وكان الكهنة النصارى يحضون البابا على اضطهادهم ففي عام ١٤٧٢م وجد طفل ميت قرب دار يهودية في «ترنت» فسجن الأسقف جميع اليهود في المدينة وأحرقهم حتى الموت ، وهكذا تحركت مشاعر الأوربيين ضد اليهود.

ومع هذا فقد كان الباباوات أرأف لحال اليهود من الملوك وعامة الشعب؛ لذا لم يخضعوهم لمحاكم التفتيش.

أما الدول التي أكرمتهم بعد إيطاليا فهي بولونيا.

ـ اليهود في بريطانيا: هيمنت الصهيونية المسماة بـ: «كريت روسل ستريت» «great rossel street» على رئاسة الوزراء التي تشرف على المخابرات البريطانية ، والتي تعتبر أهم الأجهزة وأقواها في الدولة منذ عهد مؤسسها «كرومل» والتي تتدخل في شؤون التاج البريطاني ، فقد تعدى النفوذ البريطاني الأحزاب السياسية ليتحكم بمقدرات الأمة ، فثار النائب «كرومل» في المجلس ضد الملك «شارل» وخلعه وثار مع الجيش ضد المجلس وأعلن قيام الجمهورية بجنود «يهوا» ، وكان يستمد إيحاءاته من التلمود ويحتقر تعاليم الإنجيل ، وادّعى أنّه نبيّ وأنه خليفة النبي «حزقيال» ، ومنع العمل يوم السبت وأرغم الشعب على قراءة التوراة طيلة أيام الأحد ، وألغى الطقوس الدينية المسيحية ، وحرّم دخول الكنائس وأمر بقتل من يدخلها ، وأقام مجلساً كهنوتياً على غرار المجلس اليهودي لتطبيق شريعة اليهود ، ولكي يجعل من بريطانيا دولة يهودية ، وقد دام حكمه حتى عام ١٦٦٠ م.

أحدث أول محفل ماسوني في لندن في القرن الثامن عشر ، وأسندت إدارته للعاهل الإنكليزي؛ لاستغلال نفوذه في هذه الغاية.

وفي مرحلة من هذه الفترة كان زوج الملكة «فكتوريا» وجميع أمراء بريطانيا أبناء غير شرعيين لليهود. وإن أمير المغال الذي أصبح ملكاً لبريطانيا باسم

«إدوار السابع» كان يمنح دائنيه ألقاباً مثل: «لورد أو بارون» ، وكان قبل الحرب العالمية الأولى قد بلغ ٩ من أصل ١٢ من أعضاء العرش من اليهود ، وكذلك المجلس الاستشاري الذي يضم غالبيته يهود ، وكذلك مجلس اللوردات ، كلّ ذلك بسبب سياسة «كرومل» الذي أنهى الكنيسة[١] .

ـ دور اليهود في السلطة العثمانية:

بعد طرد اليهود من الأندلس وهروبهم من محاكم التفتيش ، توسّط لهم السلطان «سليمان القانوني» عن طريق زوجته «روكسلان» اليهودية ، وكانت سبية روسية في حرب القرم.

لقد كان لها دور مهم في قصر السلطان «سليمان» ، فقد كان دورها كبيراً في:

١ ـ قتل الصدر الأعظم «رئيس الوزراء».

٢ ـ تنصيب صهرها «رستم» بعد قتل ولي العهد الأمير «مصطفى» ابن السلطان «سليمان القانوني» ، والسماح لهم بالتغلغل في مناصب الدولة بشكل غير ظاهر ، أو بعد إظهار إسلامهم الشكليّ ، كما سيأتي عن يهود الدونمة.

وبذلك كان لليهود دور في:

ـ إخراج الإسبان من طرابلس الغرب وبنزرت.

ـ مساعدة «خير الدين بربروس» في غزو كريت.

ـ إدخال اليمن في الدولة العثمانية.

ـ فتح رودس وجزيرة القرم التي يحكمها التتار.

ـ في الولايات المتحدة الأمريكية: أعلنت الثورة الأمريكية أنها حامية لمبادئ العدل والمساواة و الحرية وخاصة في عهد رؤسائها «جفرسون ، لونكلين ، ولسن. .» ، وكان «ولسن» ينادي بحق الشعب في تقرير المصير.

---

(١) تاريخ اليهود ، لأندريه موريس ٢٩٦ ـ ٣٠٠ و ٤٤١ ـ ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

* الرئيس «بنجامين فرانكلين» قال للكونغرس: هنالك خطر على الولايات المتحدة هو خطر اليهود، في أي أرض يحطون يصبح المستوى الخلقي والمعنوي منحطاً والمعاملات التجارية بصورة غير شرعية.

لقد بقي اليهود منطوين على أنفسهم وظالمين في معاملاتهم مع الناس، وحاولوا خنق ماليّة الدولة مثلما جرى في البرتغال وأسبانيا.

وأضاف قائلاً: إذا لم تطهر أمريكا من اليهود بموجب الدستور فسيعودون إلى بلادنا ويحكمونها ويديرونها ويغيروا شكل حكوماتنا، وإذا لم تخرجوا اليهود من أمريكا فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم في قبوركم، إن اليهود لا يتحلون بالمثل العليا التي نتحلى بها نحن الأمريكيون، إن الذئب لا يستطيع أن يغيِّر جلده، إنهم سيشكّلون خطراً على بلدنا[1].

* وابتدأ عداء أمريكا للعرب ببرقية الجنرال «هاوس» مستشار «ولسن» في١٧/ ١٠/ ١٩١٧ م بتأييد وعد بلفور.

* كما وافقت أمريكا على الانتداب البريطاني لفلسطين بقرار الكونغرس عام ١٩٢٢م.

* عقد المؤتمر الصهيوني اليهودي العالمي عام ١٩٤٠ م دورته الاستيطانية بنيويورك، واتخذ قراراً بتحويل فلسطين إلى دولة يهودية وإجلاء السكان العرب، وحصل هذا القرار على تأييد الحزبين الديمقراطي والجمهوري في مؤتمريهما لانتخابات١٩٤٤م.

* طلب «روزفلت» عام ١٩٤٥م في اجتماع مع الملك «عبد العزيز» في فندق الغيوم بمصر على بحيرة قارون السماح لليهود بسكن أرض خيبر والأراضي المجاورة للمدينة المنورة بحجة أنهم سكنوها قبل الإسلام مقابل ٢٠ مليون جنيه ذهب فرفض الملك هذا العرض.

* تقدّمت أمريكا عام ١٩٤٥م في عهد «روزفلت» إلى بريطانيا «رئيس

---

(١) كتاب اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، لإيليا أبو الروس ص ١٣٠.

وزرائها كليمنت إكلي» بطلب إدخال ١٠٠٠٠٠ يهودي دفعة واحدة لفلسطين وفتح باب الهجرة.

* في ٩/ ١١/ ١٩٤٧م طلب «ترومان» الرئيس الأمريكي من الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة العمل لتكون النقب والعقبة لليهود.

* خلال حرب ١٩٤٨م نال اليهود مساعدات عاجلة وهامة ، فقد كانت أمريكا ترسل السلاح عن طريق براغ لدولة الكيان المسخ وذلك عن طريق باخرة اسمها الطائر ، فقد أرسلت ٥٤ دبابة باسم جرافات زراعية عن طريق ميناء حيفا.

* المبادرة بالاعتراف فوراً بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٩٤٨م بعد دقائق من إعلان «بن غوريون» قيام دولة المسخ.

* دعم أمريكي بالدولارات والمعونات الاقتصادية والأسلحة المتطورة ، وكأنّها ولاية أمريكية.

خطّطت أمريكا مع الكيان الصهيوني لحرب ١٩٦٧م على دول مصر والأردن وسورية ، والذي احتلت فيه باقي دولة فلسطين وسيناء من مصر والجولان من سورية ، وكذلك في عام ١٩٧٣م أعادت أمريكا لدولة المسخ توازنها ، فحولت الهزيمة لنصر بعد أيام قليلة من الحرب وذلك بالجسر الذي أمدها بالسلاح والعتاد ، وقدمت لها الصور الجوية عن مواقع القوات المصرية ، فسهّل على اليهود القيام بفتح ثغرة الدفرسوار إلى أن صارت حصاراً للجيش الثالث.

* إنّ سبب تأييد أمريكا لدولة المسخ هو:

١ ـ قوة الضغط اليهودي «اللوبي الصهيوني».

٢ ـ نظرة أمريكا لدولة المسخ على أنها امتداد للديمقراطية.

٣ ـ حامية لمصالحها ضد الشيوعية.

٤ ـ حاجة الناخبين لأصحاب الأصوات الانتخابية التي يتحكم بها اليهود.

٥ ـ الإمكانات اليهودية الاقتصادية والمالية.

٦ ـ دور وسائل الإعلام والدعاية التي يحتكرها اليهود.

٧ ـ امتلاك اليهود للملفات السرية للمرشحين، والتي تشمل: الحياة الشخصية ـ التهرب من الضرائب ـ الفضائح التجارية ـ طرق الغش ـ والفضائح الأخلاقية.

ـ في فرنسا: بقيام الثورة الفرنسية التي دبر أمرها اليهود ووضعوا لها شعار الماسونية «حرية، مساواة، أخوة» والذي حمله الانتهازيون الغوغائيون والمرتزقة لضرب كل وطني شريف يدافع عن مصالح أمته؛ بحيث كانت لهم السيطرة الكاملة على الدولة بدعم نابليون للسيطرة على الشرق، وعد «نابليون» «١٧٩٩م» في حملته بأنه سيعيدهم إلى الأرض المقدّسة فيما إذا ساعدوه، فقد طرح «أرنست لاهاران» سكرتير «نابليون الثالث» ملك فرنسا إعادة الدولة اليهودية إلى الحياة لفتح الطريق أمام الحضارة الأوربية وفتح أسواق جديدة لمنتجات الغرب.

ـ في ألمانيا: ترجم التلمود إلى اللغة الألمانية وطبع فيها عام ١٥٢٠ وحوّروه بما يوحي بعدم وجود الفوارق.

اتفق «موسى ماندلسون» مع الماسون والإنسانيين والمثقفين على جمع الشباب ونشر الفلسفات الشرقية المناوئة للدين المسيحي، وإخراجهم من عقائدهم بالتعاون مع الفتيات اليهوديات المتهتكات من أمثال «ابنة الحاخام هنريت هيزر» لتبشر بالإلحاد والفسق والإباحية وتتصيد خيرة الشباب لتلفظهم بعد أن يفقدوا قيمهم ومُثُلهم سوى السجود تحت أقدامها وأقدام أترابها، فكانت مركز الماسونية ومصدر الأفكار الثورية وناشرة الإباحة في ألمانيا.

كما استغلّ اليهود سيطرة «نابليون» على ألمانيا للاستيلاء على مقدرات الأمة وتبوُّء أرفع المناصب، حتى صارت البلاد مزرعة لليهود يعملون على تخريب أجهزة الدولة، كما احتجزوا الصحافة والفنون والثقافة وإدارة الجامعات والطب، كما استثمروا هزيمة ألمانيا بالحرب ليتصلوا بيهود بولونيا

ليعودوا إلى ألمانيا ، وانقضّوا على البضائع والمصانع والمتاجر التي استولى عليها الحلفاء ليبتاعوها بأبخس الأثمان ، فملكوا ٩٠٪ من ثروة الأمة ، فأذلوا الألمان وأظهروا حقدهم إلى أن قام «هتلر» وفضحهم .

ـ في روسيا : عند قيام روسيا القيصرية واندحار المغول «الذين ساندهم يهود الخزر» عام ١٦١٣ م فقد اليهود أيّ أمل بروسيا ، ولكن مع استفادتهم من الثورة الفرنسية وأحداث «كروميل» في بريطانيا وتسلُّم «الإسكندر» في روسيا ، وسّع اليهود نشاطهم في السفارات الغربية التي تساعدهم في الدسّ والمكيدة لروسيا على اعتبار «الإسكندر» ماسونياً ، ولكن عندما تخلى «الإسكندر» عن ماسونيته شدّد على اليهود «بعد انتصاره في القفقاس بعد ورطة اليهود فيها» .

ومع هزيمة الروس في (بول أرثر) التي أضعفت هيبة الدولة سارع اليهود لتهريب أموالهم ، مما أدى إلى انهيار روسيا سياسياً و اقتصادياً فخاضوا معركة فاصلة مع القيصر واقتلعوا جذوره بعد ١٣ سنة بالثورة البلشفية الشيوعية اليهودية ، حيث دفعت روسيا ـ التي كانت تريد الانعتاق من القيصرية ـ ثلاثة ملايين من مواطنيها الأبرياء لتقع في حبائل الانتهازيين اليهود الذين غرروا بهم بالتلويح بشعارات الصداقة والأخوة والعمل المشترك لاستعادة حريتهم المفقودة ، وكانت الماسونية هي الأداة القذرة لهذه المهمة[1] .

ـ جمهوريات الاتحاد السوفييتي : «أذربيجان» مرشّحة لأن تكون دولة يهودية .

ـ برز في بلكو محفل سالونيك وأعضاؤه يهود فقط .

ـ كانت المحافل الماسونية في أذربيجان تعمل بالتعاون مع «كمال أتوتورك» «ابن التاجر اليهودي» لتهويد الأقليات القومية مع اليهود الأشكيناز الذين يعملون مع رأس بوتين المقرب من «حاييم وايزمان» رئيس الوكالة اليهودية .

---

(١) كتاب الإسلام وبني إسرائيل ، الجنرال أتلهان ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧ نقلاً عن مجلة المسيحيين الديمقراطيين عام ١٩٥٥م .

ـ بعد سقوط مملكة الخزر على يد البولونيين نزح سكان المملكة التركية إلى شيروان ، وهكذا فإن اليهودية الآن في دماء أوائل الأتراك الذين انتقلوا إلى الشيروان ، و تجري في دمائهم عقائد التلمود .

ـ مصدر ثان لليهود «الطاطيين» : وهم مزيج من الفرس الأخمينيين واليهود الذين أطلق سراحهم «كورش» في القرن السادس قبل الميلاد والذين ترعرعوا على يد «أستر» ، ويشكلون ٤٠ ـ ٥٠٪ من مدن شيروان ، وعددهم كبير في جزيرة القرم ومدن داغستان وأذربيجان .

ـ أصدر قيصر روسيا في ٣/٩/١٨٨٢ م مرسوماً جاء فيه : «لقد انتهت الحكومة ردحاً من الزمن إلى اليهود ، وكانت علاقتهم مع سكان الإمبراطورية من زاوية التحقق من الأوضاع البائسة التي يعاني منها السكان المسيحيون؛ بسبب سلوك اليهود في الأمور الاقتصادية ، إذ إنّ اهتمامهم ليس لإثراء البلاد ولكن لخداع سكانها وعلى الأخص الفقراء منهم ، فأثار سلوكهم هذا احتجاج الشعب[١]» . فكان هذا سبباً لليهود للإطاحة به .

ـ استخدم (SHIFF) ثروته كأثرى أثرياء العالم اليهودي ، وله مصرف « مصرف كوهين » لإبعاد روسيا عن السوق المالية الأمريكية[٢] ، ودفع بين ١٧ ـ ٢٤ مليون دولار لتمويل الثوريين الشيوعيين اليهود في روسيا ، وبعد سنة أودع البلاشفة أكثر من ٦٠٠ مليون دولار في مصرف كوهين .

* * *

(١) المصدر السابق ص ٥٥ .

(٢) المصدر نفسه .